خمس قصص قصيرة جداً

ريمـــــة راعـــــي

١ ـ لا أعشاش في المدينة

العصفور الصغير الذي غَفَتْ في عينيه أضواءُ المدينة ودكاكينُها الملونة وضجيجُ السيارات والنساءُ والرجالُ الذين يتنزّهون على الطرقات، مَلَّ المروجَ والبحارَ، وسئم الفضاءَ بلونه الواحد الرزين، ورغب في قضاء ليلةٍ في المدينة، فأعطى جناحيْه لبائعٍ جوّالٍ، وحصل على قدميْن جميلتين وحذاءٍ وحفنةٍ من نقود.

تنزَّه العصفورُ في الطرقات، تحدّث إلى الرجال والنساء، رَكَضَ وراء الحافلات، جَلَسَ على مقاعد الحدائق، دَخَلَ المقاهي والدكاكين، ودخّن السجائر، وأكل الحلوى.

حين غابت الشمس، لم تَنَم المدينة. ظل الرجال يتنزّهون، والأضواءُ تلقي بوهجها على الوجوه. لم تتوقف الحافلات عن الركض، ولم تكفّ الشوارعُ عن الصراخ والاحتجاج.

تَعِبَ العصفور، وأراد أن ينام. الشجرة كانت بعيدة جداً، فاستلقى على الرصيف، وأَغمض عينيه.

نامت جميعُ العصافير في أعشاشها.

ونامَ العصفورُ على الرصيف.

كانت أصواتُ المدينة تتلاشى شيئاً فشيئاً، وأضواؤها تزول، وألوانُها المتمازجة تتفرّق بهدوء. لم يبقَ سوى رصيفٍ، وعصفورٍ صغيرٍ يحلم بجناحيْن وعشّ.

٢ ـ قيس ليلى

في حديقةٍ خضراءَ، مقاعدُها من خشب، يُحكى أنّ رجلاً هرماً اسمُه قيس لمح فتاةً صغيرة، عيناها خضراوان كأحلامه وشعرُها أسوُد كالحزن، اسمها ليلى.

عرف قيس أنّها ليلى التي أنهكتْه السنونُ وهو يبحث عنها، وأنه تأخر كثيراً. وحين نظرتْ ليلى في العينيْن الحالمتيْن اللتيْن تحدّقان فيها كأنّها ملكةٌ من ضوء، عرفتْ أنّه قيس الذي ستحبه حين ستكبر، وأنّ الزمن تلاعب بالوقت.

اقترب قيس من ليلى وأعطاها ثُلثَ عمره، فأصبحت امرأةً، وعاد رجلاً لا يَحمل عبءَ السنين على ظهره. ابتسم قيس، وابتسمتْ ليلى، وراحت تجري وراء الفراشات، ويجري هو وراءها. وفي منزل قيس المليء بالغبار، ملأتْ ليلى البيتَ بالماء والصابون، وراحت تلعب كطفلة في السابعة. أما قيس فغفا على كرسيّه، بعدما أنهكتْه فقاعاتُ الصابون التي كان يلاحقها لأجل ليلى.

وبعدما تعبتْ ليلى، نامت على ركبتيْ قيس. كانت تحلم بمرج أخضر، وقيس يحلم بأنْ يملك قلباً لم تأكله الأيامُ ليجري مع ليلى ولا يتعب.

ثم ذاب حلمُ ليلى في حلم قيس، وغرقا في غمامة من الضوء. وبعدما انقشعت الغيمةُ لم يبق من قيس وليلى سوى نجم ونجمة بلا تاريخِ مولدٍ وبلا أسماء وبلا أحلامٍ خائفة.

ومنذ ذلك الحين، وقيس يجري وراء ليلى في مروج من شهب. وكلما لامستْ يدُ قيس ليلى لمعتِ النجومُ في السماء، واصطدمتِ النيازكُ بالأرض، ووقف أهلُ الأرض مذهولين.

٣ ـ سلسلة من هواء

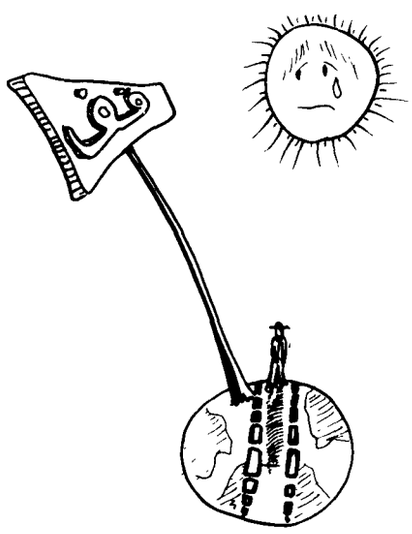

الشمس الكبيرة رغبتْ يوماً في أن ترقص كشمسٍ صغيرةٍ ماجنةٍ لم تكبرْ بعدُ، فخلعتْ حذاءها وراحت تتمايل كغجريّة ذهبيَّة الشعر. اجتمعتْ عصافير العالم، وأخذتْ تصفّق بأجنحتها. والغيوم تعانقتْ بوداعة وهي تتراقص بفرح، بينما أخذ البشر يصرخون، ويأمرون الشمس والعصافير والغيوم بالتوقف. لكنّ الشمس لم تتوقّف، وظلت ترقص، وقررتْ ألاّ تصحو باكراً، وألاّ تذهب إلى المدرسة، وألاّ تكتب وظائفها بعد اليوم، وألاّ تصحو في الفجر، بل ستغفو كطفل وديع لم يتعلّم سوى الأحلام.

بكى الجميع لأنَّ الشمس فقدتْ عقلها، والعصافير لا تنام والغيوم ترقص بجنون، والسماء أصبحتْ سيركاً صاخباً.

ركب الرجال طائراتٍ كبيرة، بعد أن قيّدوا أقدام العصافير والغيوم بالسلاسل. أما الشمس فقد ضفروا خصلات شعرها الغجريّ المبعثر، وأحاطوا قدميْها بسلسلة كبيرة من حديد، وسمحوا لها فقط بالذهاب إلى المدرسة، وتركوا يديْها طليقتيْن لتكتب وظائفها، وتوقظَهم حين يأتي الصبح، موقنين أنَّها لن تخلع حذاءها ثانيةً، ولن ترقص، أو تحرِّض الغيوم والعصافير على الشغب.

٤ ـ السدّ

شَعَرَ النهرُ الصغير بالحزن، لأنَّه ليس بحراً والسفن الكبيرة لن تزوره أبداً، ولن يأتي الأطفال للّعب على رمال شاطئه، ولن تستحمّ الشمسُ بمائه، ولن تغفو بين ذراعيْه.

وراح يبكي بشدّة، ففاضت دموعُه على المروج، ونبتتْ أزهارٌ ملوّنة صغيرة راحت تضحك بأصوات مرتفعة. وجاءت ملايينُ الفراشات، وأخذتْ تلعب بين الأزهار وتغنّي.

خجل النهرُ من أمنيته السخيفة، وتمنّى أن يكون زهرةً بريةً تلعب مع الفراشات وتضحك. وظلّ يبكي، إلى أن رأى أحدهَم يقطف زهرةً ويشمّها ثم يرميها.

وحين رأى عصفوراً يطير في السماء تمنّى بشدة لو يصبح عصفوراً. إلاّ أن بندقيّة صيّاد جعلته يتمنّى أن يصبح شجرة.

كانت الفؤوس كثيرة، فرغب النهرُ في أن يكون غيمةً صغيرة، لكنّ الغيوم تبكي كثيراً وهو سئم البكاء.

لذا قرَّر أن يبقى نهراً. إلاّ أنّ رجالاً كثراً جاؤوا وقيّدوه وراء كومة من الأحجار الضخمة. وبعد أن ذهب الجميع، بكى النهر لأنَّه يريد أن يعود نهراً صغيراً يتسكّع قرب المروج الخضراء، وتسكنه الأسماكُ الصغيرة.

٥ ـ الجوع لا يلبس الحرير

الفتى الصغير الذي مدّ يده إلى صاحب العينيْن الواسعتيْن حَصَلَ على رداءٍ ملوّن من الحرير.

وفي لحظةِ طيشٍ رمى الفتى ثوبَه المهترئَ قرب النهر، وارتدى الثوب الجميل، وراح يسير كملك.

العصفور الصغير قال لصاحبه: أُنظرْ إلى الشحّاذ، لقد أصبح مهرّجاً!

رمق الفتى العصفورَ بغضب، ورماه بحجر صغير.

الريح اقتربتْ من الفتى، وراحت تتحسّس ثوبه بإعجاب، ثم اصطدمتْ بجلده الخشن، فصاحت: «ما هذا الجلد الخشن يا صغير»؟!.

صاح الفتى بنزق: «لستِ مضطرّةً للمسي». همستِ الريحُ بلا اكتراث: «كنتُ ألمس ثوب الحرير»!. عاود الفتى السير ببطء وهو يَضْرب الحصى بقدميه. وقبل أن يصل إلى بيته بخطوات قليلة، أدار ظهره، وركض نحو النهر. شَعَرَ بسعادةٍ عارمة وهو يرى ثوبه القديم ما يزال على الأرض. وبحركة بطولية خلع ثوبه، وارتدى الثوبَ القديم.

اللاذقية

التمثيليّة

سعيد سالم

كانت تلك هي المرّة الأولى التي أكتبُ فيها عملاً درامياً للإذاعة وباللغة العاميّة. سبق أن أصدرتُ العديد من الروايات والقصص القصيرة خلال ربع قرن، فلم يصل صوتي إلى الناس، ولو في همسٍ خافت. لاشك أنه أمر يستحق دراسة مستفيضة، ولكنْ ليس هذا هو موضوعنا الآن، بل وإلى أجل غير مسمى.

كُتِبَ النصُّ على الآلة الكاتبة وتم تصويرُه نسخاً عديدة بحيث يتسلّم كلُّ ممثلٍ ورقه كاملاً. جلستُ خلف المُخْرج في الاستوديو. لاحظتُ على الفور أنّه الملك المتوج للمكان بغير جدال؛ فالكل طائع لأمره بغير مناقشة، والكلُّ ملتزم بتقديم فروض الولاء وإظهار مشاعر الود والامتنان له حتى لو كان الباطنُ غير ذلك.

حين سمعتُ اسمي يتردد بين جنبات الاستوديو بصوت عظيم مجسّم، تملّكني زهوٌ جميل: فلولاي لما جلس المخرج على مقعده هذا، ولما وجد هؤلاء الممثلون عملاً يُظهرون من خلاله مواهبهم الفذة ويتقاضون عنه أجورهم العالية التي تفوق أجري كمبتدئ بالإذاعة.

أذهلني أنّ المخرج يقبّل الممثلات بلا حرج كما لو كان يمارس حقاً من حقوقه المشروعة، وأنهنّ يبادلْنه القبلات من نفاقٍ ربما يستر النفورَ أو الكراهيةَ عند البعض أو التسليمَ للأمر الواقع خضوعاً للقمة العيش عند البعض الآخر.

لم أنبهر بكثرة إطراء الممثلين والممثلات على عملي الدراميّ لأنّني أدركتُ منذ البداية أنّ المسألة كلها تمثيلٌ في تمثيل. وكيف لا يكون الأمر كذلك والحقيقة تقول إنّ الجميع هنا مشتركون في تقديم تمثيليّة؟!... قالوا لي:

ـ منذ عشرين سنة لم أمثّل دوراً بهذه العظمة يا أستاذ.

ـ يا أستاذ. حوارك ناطق حيّ يكاد يستغني عمّنْ يقوم بتمثيله.. إنّه نفسه يمثّل!

ـ بلا مجاملة يا أستاذ، رغم حداثة عهدك بالكتابة الإذاعيّة فإنّك تفوقتَ بجدارة على كتّاب الإذاعة المحترفين.

وببساطة شديدة قالت لي إحداهنّ بعد أن جلستْ ملاصقةً لي على مقعد من مقاعد الاستراحة: